# العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي
## عالم اللغة ، ومحقق التراث

بقلم : السيد عبد الماجد الغوري
(دمشق - الجمهورية السورية)

كان من أفذاذ العلماء الأعلام في التمكّن من العربية وآدابها وعلومها ، لا في الهند فحسب ، بل في البلاد العربية كلها .

كان دائم الحنين إلى العرب وبلادهم ، يَعُدُّ نفسه واحداً منهم ، ومن أحق منه بذلك ، و هو الذي رفع للعربية مناراً عالياً ، و جعل طريقها ذلولاً ركوباً ، وحمل فيها راية التأليف والبحث والتحقيق ، فأحسن ما شاء ، و بلغ الغاية التي لا تدرك .

قضى حياته يدرس تراثها العظيم ويدرّسه ، والجيل الذي تخرّج على يديه بات حجةً في اللغة .

أنفق أيام عمره المديد في خدمة اللغة العربية ، والدفاع عنها ، وإثراء مكتبتها بآثاره القيمة .

عند ما لحقَ باللطيف الخبير ، فقدت العربيةُ عالماً فذاً من علمائها ، وخسرت مجامعها ركناً متيناً من أركانها ، و بكاه أهل العلم والفضل في كل مكان ، وترك فراغاً كبيراً في أوساط العلم واللغة والأدب

### لمحة عن حياته وأعماله :

وُلد العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في نحو سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) ببلدة "راجكوت" في إقليم "كاتهياوار" على الساحل العربي للهند ، من بيت عريق في التجارة .

تَلقى التعليم الابتدائي – على عادة العصر – في الكتاتيب المحلية ، وفي بعض المدارس الدينية في مدينة "جوناكره" ، ثم بدأ رحلته إلى مراكــــز العلم ليستكمل دراساته العالية ، و قرأ على الأساتذة الكبار في ذلك العصر في "لكناؤ" و"رامفور" و"دهلي" ، وكان من أساتذته وشيوخه العالم المســـند الراوية الرحلة الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني ، و الشيخ نذير أحمد الدهلوي ، و الشيخ محمد طيب المكي الذي درس عليه الفلسفة و المنطق في المدرسة العالية في "رامفور" ، ثم التحق بجامعة بنجاب ، وحصل منها على شهادتين في العلوم الشرقية التـــي تشتمل على الدراسات الإسلامية ، واللغات العربية ، والفارسية ، والأردية .

فاتكأ على نفسه لا يكتفي بالمألوف الموروث في تلقى العلـــم ، و لا يقنع به ، و اختط طريقاً جديداً لدراسته ، يُلبي رغبته ، و يرضي طموحه ، آثر الاطلاع على كتب القدماء من المؤلفين ، و الكتاب العرب ، وتَعمَّقَ في علوم اللغة والأدب ، وحفظ من الشعر العربي القديم كمية كبيرة ، وقـــد قال بنفسه : إنه حَفظ في صباه المعلقات العشــــر ، و ديـــوان الحماســة ، والمتنبــي . كما حفظ جزءاً كبيراً من مراجع اللغة والأدب مثل الجمهرة – للقرشي ، و المفضليات –للمفضل الضبــي ، و الكامل –للمبرد ، والنوادر –لأبي زيد ، والبيان والتبيين –للجاحظ ، و أدب الكاتب –لابـــن قتيبــة الدينوري ، وشرحه الاقتضاب –لابن السيد البطليوسي (١) ، وممّا يـــدل على قوة ذاكرته وحسن استحضاره إلى آخر حياته ، ما يقول سماحة العلاّمة الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) : "ســألته في أثنـاء الحديث – بكل احترام – عن عدد ما يحفظه من أبيات الشـــعر العربـــي ،

(١) مجلة "البعث الإسلامي" – عدد صفر ١٣٩٩هـ .

فتوقف لحظة ، وقال : بين خمسة وسبعين ألف بيت ، ومائة ألف بيت" (١) .

ولا يقل أمثال هؤلآء في العلماء والأدباء المتقدمين ، ولكن من الصعب أن نجد نظيراً له اليوم ، لا في شبه القارة الهندية فحسب ، بل في البلاد العربية كلها.

ولقد اشتغل العلامة الميمني بالتدريس في عدة جامعات ومراكز في شبه القارة الهندية ، فعمل أولاً كمدرس اللغة العربية والفارسية في الكلية التبشيرية (Mission College) في "بيشاور"، ثم عيّن مدرساً في الكلية الشرقية (Oriental College) في "لاهور" سنة ١٩٢١م ، ثم غادر لاهور إلى جامعة عليكره الإسلامية في سنة ١٩٢٥م ، حيث عُيّن أستاذاً مساعداً بقسم اللغة العربية وآدابها عن جدارة واستحاق ، فترَقّى حتى عُيّن أستاذاً ، ورئيساً بقسم اللغة العربية وآدابها ، واستمرّ فيها إلى سنة ١٩٥٠م ، قد أثبت العلامة الميمني كفاءته و جدارته في هذه الجامعة ، و تتابعت أبحاثه ومقالاته حول اللغة والأدب ، والتاريخ على صفحات أمهات المجلات العربية الصادرة من الهند والبلاد العربية ، و وصلت مقالاته وأبحاثه في الآفاق ، وتوطّدت علاقته بكبار أدباء العربية و علمائها في جميع البلاد العربية ، كما استحكمت أواصره وروابطه بالمستشرقين ، فضلاء الغرب ، و أساتذة الجامعات الأوربية ، وعُيّن عضواً مراسلاً في المجامع العربية المشهورة في دمشق والقاهرة .

وخلال إقامته في الجامعة نشر كتابه : "سمط اللآلي في شرح الأمالي" -للقالي ، وقام بجولات واسعة في مختلف أنحاء العالم ينقب عن آثار العرب والمسلمين في المكتبات المشهورة والمغمورة ، وأتى في كل جولة بالنوادر والعجائب من المخطوطات والوثائق دهشت لها النفوس ، و بهرت العيون ، وصار أكبر مرجع للغة والعلم للباحثين والمحققين .

(١) انظر : "في مسيرة الحياة" لسماحة العلامة الشيخ الندوي (رحمه الله) : ج/٢ ، ص/٣٧

وبعد ما استقلت الهند وباكستان كدولتين مستقلتين ، قد هـــاجر العلامة الميمني إلى باكستان ، حيث عُيِّن رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة كراتشي ، واتصل بعد ذلك بالمعهد المركزي للدراسات الإســلامية (Central Institute of Islamic Reserch) في كراتشي سنة ١٩٦٠م ، وعُيِّن أخيراً رئيســاً لقسم اللغة العربية سنة ١٩٦٤م في الكلية الشرقية في جامعة بنجــاب ، و استمر عليه زمناً غير قصير حتى وافاه أجله المحتوم في يوم الجمعة الســادس والعشرين من ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٧/مــن أكتوبــر ١٩٧٨م بكراتشي ، وقد بلغ التسعين من عمره :

و ان امرأ قد سار تسعين حجة

إلــى منهل ، من ورده لقريب

بوفاته لم تخسر شبه القارة الهندية فحسب علماً أديباً ، محققاً بصــيراً ذا منزلة سامية في اللغة العربية وآدابها ، بل خسر العــالم العربــي كلــه ، والعصر الذي نعيش فيه خسارة كبيرة .

قد كان العلامة حريصاً على خدمة الطلاب بعلمه ومالــه ، كمــا اعترف به بعض طلابه بعد وفاته ، فقد وزع على نفقته الخاصة مئات النسخ من كتاب "المصنف" لعبد الرزاق على المدارس العربية ، والجامعات الشرقية ، والمكتبات الإسلامية ، كان العلامة ممن يعرف بدار العلوم التابعة لنــدوة العلماء بخدمات دينية ، وعلمية جليلة ، وبخدماته العظيمة في مجــال الأدب العربي ، وقد اعترف مراراً ما للمتخرجين منها في الهند وباكستان من أيــاد بيضاء على اللغة العربية ، وما يتبذلون من جهود حثيثة في رفع مستواها في ربوع الهند ، فقدم مساعدة مادية قيمةً لمكتبتها في آخر حياته ، أُنشئَ بهــا ركن خاص باسمه في المكتبة لمراجع اللغة العربية ، والأدب العربي .

كتبه وآثاره : و لقد كان العلامة الميمني مع اشتغاله بــالتدريس شــغوفاً بالتأليف ، و تحقيق المصادر الأدبية القديمة ، وشرحها ، والتعليق ، والتحشية

عليها ، كما يبدو من مطالعة كتبه .

لقد ذاع صيته في العالم العربي بكتابه المعروف : "أبو العلاء وما إليه" الذي بلغ بالعلامة ذروة التأليف والتحقيق حتى صار مثلاً يضرب في هذا الموضوع .

كان العلامة الميمني حين عَزَمَ على دراسة المعري ، وتأليف كتابه في عنفوان شبابه ، كان ابن خمسة و ثلاثين من عمره ، قد بَلَغَ أشده واستوى ، و اكتملت له أدوات العلم ، وزانه النضج والحكم ، فأقدم على عمله إقدام واثق ، قد أعدّ له عدته ، و هيأ له أهبته ، ويُعدّ هذا الكتاب (أبو العلاء وما إليه) محاولة جادة لدراسة الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ، والتعرف إلى سيرته ، وفهم شعره ومراميه دون الوقوع في شباك التغرب . إنها الدراسة التي تستمدّ معينها من أصدق الأخبار ، ومن تصور وقائع العصر وأحواله ومذاهبه وحياته الفكرية تصوراً صحيحاً يعتمد الحس التاريخي الدقيق ، ومن ثَم نال أثره الأدبي الفريد هذا ، من القبول الرواج بين أوساط العلم والأدب ما يقل نظيره في الأدباء المؤرخين .

لقد راع العلامة الميمني ما وقع فيه دارسو المعري من المستشرقين و أضرابهم من المتأدبين العرب ، و رأى أن الحاجة ماسة إلى من يتعرف بأبي العلاء تعرف الإنسان بصاحب له ذي أرباب ، و توخى في كتابه تصحيح ما جاء به مرغيلوث الإنجليزي في مقدمة ترجمة رسائل أبي العلاء المعري (١). و ما وقع في كتاب الدكتور طه حسين "ذكرى أبي العلاء" من الحيف و مجانبة الحق و محاولة إثارة الشك في الشعر الجاهلي ومصادره . وكان الدكتور طه حسين يعتبر سنداً يعتمد عليه في البحث عن أبي العلاء المعري . وكان يشبه المعري جسمياً ، وفكرياً ، ونفسياً ، وكان لكتابه : "ذكرى أبي

---

(١) انظر : أبو العلاء وما إليه –للعلامة عبد العزيز الميمني : ص/٣

العلاء" دوي في الشرق يتغنى به أساتذة الأدب وطلابه ، ولكن كتاب العلامة الميمني فاقه درجات ، و قد عرف الدكتور طه حسين بسحر أسلوبه و نغمه الموسيقي الحلو ، و لكنه لم يكن باحثاً يهتمّ بتهذيب اللغـــة ، و الشـــعر ، وتصحيح ، و مقابلة النسخ الخطية القديمة ، وغربلة الروايات للتمييز بـــين الصحة والخطأ ، لأن هذه العملية تحتاج إلى بصيرة نافذة وبصارة حـــادة ، وبذل جهود مضنية وصبر وآناة ، ولم يكن طه حسين – رغم مكانته العالية – متصفاً بهذه المزايا (١) .

كتب كبار علماء و باحثي العرب ، أمثال : العلامة أحمد تيمـــور ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيخ أحمد الأسكندري ، والعلامة أحمـــد محمد شاكر تعليقات قيمة على هذا الكتاب ، أشادوا فيها بما يمتاز البـــاحث من سعة الاطلاع ، وبذل الجهد الكبير ، والتحقيق العلمي الرصين .

إذا كان كتاب العلامة الميمني "أبو العلاء وما إليه" تاج أعمالـــه في التأليف ، فإن كتابه : "سمط اللآلي" تاج أعماله في التحقيق ، يعتبر مـــأثرة علمية يفوق "أبو العلاء وما إليه" من بعض الاعتبارات ، لأن له صلة وثيقة بكتاب : "الأمالي" لابن علي القالي الذي كان من الكتب المفضلـــة لـــدى العلامة ، و الذي كان يراه أجود مجموعة لنوادر اللغة والشعر ، وقد احتفل العلامة بهذا الكتاب : "سمط اللآلي" وتروّى وتأني في عمله وتأنق ، كـــان يعينه الكمال ، فمشى على رود يتمهّل ، فأتى بالعجائب ، و نثر فيه الفوائد والفرائد ، وأبان عن دُرر مكنونة فيما سطر من حواش وطرر حتى أصبـــح (الكتاب) مورداً عذباً سائغاً شرابه ، يرده المحققون ، ويفيدون من تعليقاته ، واطلاع صاحبه الواسع ، حتى إنهم ما يكادون يذكرون عملـــه في هـــذا

(١) انظر : مقالة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في مجلـــة : "المجمع العلمي الهندي" في عددها الخاص ، حول العلامة عبد العزيز الميمني .

الكتاب آنذاك إلا بنعت فيه تفخيم ، من مثل قولهم : "و جاء في سمط اللآلي الممتع للعلامة الميمني" كذا (١) .

وقد نال هذا الكتاب إعجاب الباحثين والأدباء الكبار من أهل زمانه الذين أثنوا ، وأشادوا بما يتمتع به العلامة من بصيرة نافذة ، ودقة النظر ، و صبره وأناته ، و طول تعاهده و عمله بالعناية و النقد ، و تتابع ناشرو التراث على الاقتداء بالعلامة على قدر وسعهم ، بحيث كان منهجه في هذا الكتاب – بحق – مدرسة حاول أن يتخرج منها كثير ، فوفق بعض ، وأخفق بعض وظنوا أن التحقيق إطالة التعليق في غير طائل .

إن كل سطر في تعاليق العلامة على هذا الكتاب يفيد القارئين والمدركين بما كان وراءه من سعة اطلاع ، وغزارة علم ، وطول ممارسة ، وشدة تحرِّ ، وهذا هو الذي يجب أن يتعلمه الباحثون والمحققون والمحدثون اليوم الذين يخبطون في تحقيقاتهم و تعليقاتهم خبط العشواء – لا يقلدون إلاّ الأشكال بلا بصر ، ولا فهم .

ولعل هذا الطراز من الناشئين عاني منه العلامة ، فأشار في مقدمته لهذا الكتاب إلى أنه أغفل أشياء كثيرة ، يقول : "لم أرَ في ذكرها غرضاً غير تسويد الكتاب ، وتضييع أوقات القارئ فيما لا يجديه ، وغير إبراز هوى النفس الأمارة المكنون في التحذلق والتفيهق ، رغماً لأنف من يستنكره عليَّ من نابتة العصر المتبجحين" (٢) .

وغير هذين الكتابين للعلامة الميمني تأليفات قيمة ، وتحقيقات نفيسة ، أذكر هنا ما وقفتُ عليه ، فمنها :

---

(١) انظر مجلة : "المجمع العلمي العربي" الصادرة في مجمع اللغة العربية بدمشق : ج/١٥ ، ص/١٠٥ .

(٢) انظر : مقدمة العلامة الميمني لـ "سمط اللآلي" : ص/ن

١- الفاضل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد (تحقيق) ، طبع من دار الكتب العربية ، القاهرة في سنة ١٣٧٥هـ ، يحتوي هذا الكتاب على ١٦٥/صفحة .

٢- الطرائف الأدبية ، وهي مجموعة من الشعر (تصحيح وتخريج ومعارضة على النسخ المختلفة وتذييل) طُبع من لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة في سنة ١٣٥٦هـ ، يحتوي هذا الكتاب على ٣٠٥/صفحة .

٣- الوحشيات : وهو الحماسة الصغرى -لأبي تمام الطائي (تعليق وتحقيق ، وزاد في حواشيه الشيخ محمود محمد شاكر) ، طُبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٨٣هـ ، يحتوي على ٣٧٧/صفحة .

٤- أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهاني من النسخة الفريدة ، طبع من المطبعة السلفية القاهرة ، في سنة ١٣٥٠هـ ، يحتوي على ٤٥/صفحة .

٥- نسب عدنان وقحطان -لأبي العباس المبرد (تصحيح وشكل ومعارضة) ، طبع من لجنة التأليف و الترجمة القاهرة ، في سنة ١٣٥٤هـ ، يحتوي على ٢٤/صفحة .



٦- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، وفيه بائية أبي وفاء الإيادي (صنعة) ، طبع من الدار القومية القاهرة ، في سنة ١٣٨٤هـ ، يحتوي على ١٧٣/صفحة

٧- المنقوص والممدود -للفراء (تحقيق) طبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٩٧هـ ، يحتوي على ٤١/صفحة .

٨- التنبيهات -لعلي بن حمزة (تحقيق) طبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٨٨هـ ، يحتوي على ٤١/صفحة .

٩- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (تحقيق) طبع من الدار القومية القاهرة ، في سنة ١٣٨٤هـ ، يحتوي على ٧٠/صفحة .

١٠- فهارس "سمط اللآلي" (على غرار مبتكر فريد) .

***